العرب
الخميس 2021/09/23
السنة 44 العدد 12188

حفيدة شهرزاد تخوض معركة مع وزير متحرش

«حظر نشر» رواية ينتصر فيها بوح النساء على قهر الرجال

في السنوات الأخيرة أخذت القضايا النسوية تتوسع أكثر في عالم السينما والأدب، في ظل انكشاف فضائح الذكورية وجرائمها التي تمر في الخفاء في حق الكثير من النساء. وفضحت روايات وكتابات وأفلام كثيرة ما تتعرض له النساء بجرأة أعمال أنجزها رجال ونساء انتصارا لقضايا الإنسان، وهو ما نجده في رواية "حظر نشر" للروائي المصري هيثم دبور.

امرأة تخوض معركتها باسم النساء (لوحة للفنانة هيلدا حياري)

القاهرة – من وحي حكايات ألف ليلة وليلة ينسج الروائي والسيناريست المصري هيثم دبور حكاية معاصرة بطلتها فتاة يتحرش بها وزير وتُقاد إلى الذبح، لكن ليس بيد السياف مسرور كما جدتها شهرزاد، إنما على يد المجتمع والإعلام وأدعياء التدين.

رواية "حظر نشر" هي الثانية في مشوار دبور وتختلف كثيرا عن روايته السابقة "صليب موسى" الصادرة في 2020 والتي لفتت انتباه النقاد في معرض القاهرة الدولي للكتاب.

دبور (35 عاما) دخل عالم الأدب بعد كتابة أفلام سينمائية حصدت جوائز مهمة منها أفلام "فوتوكوبي" و"عيار ناري" ومؤخرا "وقفة رجالة"، إضافة إلى أفلام قصيرة شاركت في مهرجانات دولية.

معركة ضد الظلم

تبدأ رواية "حظر نشر"، الصادرة في 294 صفحة من القطع المتوسط عن دار الشروق في القاهرة، في عصر شهرزاد وشهريار حيث يحاول المؤلف تقمص روح الأنثى الشهيرة التي استطاعت بذكائها وشجاعتها وقف إهدار دم بنات جنسها، ويقدم تصوره الخاص لما دار بين الثنائي الشهير وكيف انتصرت الضحية على السياف.

ومن الزمن الماضي إلى العصر الحديث، ومن شهرزاد إلى ضحية أخرى، هذه المرة هي متحدثة إعلامية للوزارة المعنية بدور العبادة ورجال الدين، والتي يتحرش بها الوزير جنسيا داخل مكتبه، وعندما تقرر فضح الأمر وكشف حقيقة الرجل الموقر يُشهر الجميع سيفه في وجهها وكأنها الجاني لا المجني عليها.

وخلال أربعة أيام فقط هي كل الفترة المتبقية على الاجتماع الأسبوعي لمجلس الوزراء، يخوض الوزير فتحي حسب النبي معركة شرسة لتبرئة ساحته والاحتفاظ بمقعده الحكومي مستخدما كل الأسلحة المشروعة وغير المشروعة، فيما لا تملك الضحية منى شيحة دليلا أو شهودا على ما دار خلف الأبواب المغلقة داخل الوزارة سوى مرارة التجربة وصدق روايتها.

يزيد من تألم منى تردد خطيبها مازن في دعمها عندما نشرت بيانا صحافيا فضحت فيه الوزير، لكن المصور الفوتوغرافي تدارك الأمر ودعم حبيبته بحملة مصورة ضد التحرش لاقت انتشارا واسعا عبر وسائل التواصل الاجتماعي.

ولأن لكل معركة ضحاياها يقع مازن في فخ نصبته إحدى وسائل الإعلام فيتحول بين يوم وليلة إلى متحرش هو الآخر في نظر المجتمع وينهار عمله الخاص وتسوء علاقته بخطيبته التي تجد نفسها بلا سند أو حليف.

ومع تزايد الضغوط على منى تُقرر نشر تجربتها بتفاصيلها في إحدى الصحف، لكن قبل الطباعة مباشرة يصدر أمر من النيابة بحظر النشر لتأخذ المعركة مسارا مختلفا.

وعلى الطرف الآخر تُزلزل القضية بيت الوزير وتشرخ علاقته بابنته الوحيدة الطالبة في السنة النهائية بالجامعة، والتي كانت تتطلع إلى مستقبل أكاديمي واعد قبل أن تفجر قضية والدها مشاكل كثيرة بينهما.

المؤلف يحاول تقمص روح شهرزاد الأنثى الشهيرة التي استطاعت بذكائها وشجاعتها وقف إهدار دم بنات جنسها

وتنضم إلى قائمة الضحايا كريمة زوجة الوزير التي ساندته وصدقته في البداية قبل أن تتبدد في عينيها هالته القدسية، وتكتشف صدفةً ما جرى بين زوجها والمتحدثة الإعلامية.

وبينما تدل كل المؤشرات على انتصار الوزير في معركته لإسكات منى ولو على جثث أقرب الناس إليه، تلمع في ذهن المتحدثة الإعلامية السابقة فكرة لمواصلة قضيتها وتحقيق هدفها بإدانة الجاني دون الوقوع تحت طائلة القانون بسبب حظر النشر.

تدعو منى وسائل الإعلام إلى مؤتمر صحافي للدفاع عن خطيبها الذي تأكدت من براءته وتناشد كل فتاة تعرضت للتحرش أن تتشجع وتكسر حاجز الصمت لتفضح مرتكبي هذا الفعل وتسهم في إنقاذ الأخريات من نفس المصير.

ومثلما كان ذكاء شهرزاد في الماضي طوق نجاتها من السياف وإنقاذ بنات جنسها من شهوة شهريار وجنونه، تتحول مناشدة منى إلى قارب نجاة لبنات اليوم.

وتقول في النهاية "في الكثير من الأوقات أفكر.. كم فتاة قبل شهرزاد قُتلت ولم نعرف عنها شيئا: مئة.. مئتان.. ألف سيدة قُتلن لأنهن لم يملكن قدرة على البوح والحكي؟ انتهت حياتهن واختفين من التاريخ لأنهن لم يملكن جرأة الكلام".

في صف النساء

يمكن أن نلاحظ أن الرواية مكتوبة بطريقة قريبة من السينما، ومن الممكن أن تتحول إلى فيلم أو حتى عمل درامي تلفزيوني، فالرواية وهي تنقل الواقع أو تحاول على الأقل أن تنقله لا تنقله إلا عن طريق عملية التخييل، بمعنى أنها تعيد صياغته من جديد وفق شروطها الإبداعية التي منها تحديدا بناء عوالم تخييلية متكاملة مؤسسة على مسارات سردية كل واحد منها يؤدي إلى آخر وفق منطق سببي متكامل، ويسميه كلود بريمون منطق الحكي والإمكانات السردية. ويمكن قول نفس الأمر بخصوص الفن السينمائي رغم الاختلاف بينهما.

هكذا يمكن القول إن عملية التلاقي بين كلّ من الرواية والسينما إمكانية قابلة للتحقق؛ فكل واحدة منهما تستفيد من تقنيات الكتابة الموجودة في الأخرى ومن لعبة زوايا النظر المتحققة فيها –سواء من حيث تسليط التبئير على شخصيات دون غيرها أو من ناحية الفضاءات المعيّنة في مقابل فضاءات أخرى– أو حتى من لعبة التحكم في المسار السردي استرجاعا واستشرافا. وهو ما جعل الكثير من المخرجين السينمائيين يرغبون في تحويل مجموعة من الروايات التي أعجبوا بها إلى أفلام سينمائية، بعضها حظي بالنجاح والبعض الآخر لم يحظ به.

وقد استفاد دبور من كتابته لعدد من الأعمال السينمائية ويبدو تأثير السيناريو جليا على روايته الجديدة، والتي من الممكن أن نراها قريبا في شكل فيلم سينمائي، خاصة في ظل موجة تكتسح العالم مؤخرا في الأعمال السينمائية التي تعالج القضايا النسوية، وذلك بعد حلة "أنا أيضا" التي هزت عالم السينما وحتى الأدب، وبدأت قضايا الضحايا من النساء تطفو على السطح بشجاعة أكبر وجرأة فاضحة لما يمارس على النساء.

«فاطمة» سيرة امرأة بدوية أردنية تلخص تاريخا بكل تقلباته

حكاية امرأة، حكاية وطن (لوحة للفنان محمد خياطة)

الزرقاء (الأردن) – رواية "فاطمة (حكاية البارود والسنابل)" للكاتب الأردني محمد عبدالكريم الزيود بطلتها شخصية لم نعتد عليها كثيرا في الروايات الجديدة، وهي امرأة بدوية من بيئة ألغتها النصوص المعاصرة التي أغرقت في جو المدينة.

وصدرت الرواية، التي جاءت في 224 صفحة من القطع المتوسط، أخيرا عن دار الآن ناشرون وموزعون في عمان بدعم من وزارة الثقافة الأردنية، وتعتبر أقرب إلى الواقعية التسجيلية بالرغم من أن المؤلف نوه إلى أن أسماء الأشخاص جاءت مصادفة ولا تمت للواقع بصلة، إلا أن النزعة التسجيلية طغت من خلال وجود الكثير من الأسماء ضمن مدينة الزرقاء في قرى بني حسن، وما يوجد حول سيل الزرقاء من أودية وكهوف ومسالك وطرق وقرى وأشجار، ما يوحي بواقعية الحكاية.

وتعاين الرواية قصة فاطمة البدوية، وما تخلل حياتها من معاناة وفقد وخسارات، كما تظهر شخصيات أخرى خلال الرواية تساند السياق الرئيسي للشخصية المحورية وتؤثر فيه وتتأثر به؛ إذ ترصد الأحداث مسار حياة فاطمة وعائلتها في إحدى قرى الزرقاء منذ منتصف الأربعينات حتى ثمانينات القرن الماضي.

تقول بطلة الرواية "هذا مكان ولادتي، بين شجر البلوط طرف المرج، حيث امتد اللوز البري والزغرور حتى بنيا سورا يكاد يحجب أشعة الشمس الخجلى في الشتاء، إنه أول المطر إذ تنادى الغيم على ظهر السناد، وكاد يلامس رؤوس الناس".

وتضيف في ما يشبه تقديما لنفسها "على طرف الفرع الغربي ولدت أنا فاطمة في بيت أبي يعقوب، خربوش من الشعر شدت حباله وانغرزت أوتاده في قلب الصفاة، كانت ليلة أثقل المطر فيها على الناس، حتى الماعز والغنم اشتد ثغاؤه في محبسه، التف أبي الفروة وأصابعه مشغولة بالتسبيح، ولسانه معلق بالدعاء أمام نقلة النار بأن تمضي الليلة على خير ويهونها الله على أم حمدان، مع بزوغ الفجر صرخت أمي وصرخت أنا أول صرخة في هذه الدنيا".

ومن تلك الوهلة نتابع حياة بطلة الرواية ونحن في الحقيقة نتابع حقبة كاملة من تاريخ الأردن والتقلبات التي مر بها الأردنيون والمنطقة ككل.

كما تقدم الرواية علاقة الأردنيين بالأرض والتجارة إضافة إلى جوانب من الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية. صور كثيرة يطرحها الكاتب عن فئة تمّ تهميشها من قبل الكثير من الأدباء والكتاب والتي تخص فئة الفلاحين والبدو، فهؤلاء كانوا في زمن ما يشكلون قوة اقتصادية هامة ومنهلا ثقافيا بارزا، فيما خبا وجودهم مع التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي شهده الأردن على غرار مختلف الأقطار العربية الأخرى التي تراجع فيها وجود البدو.

ونستنتج من الرواية أن حب الفلاح الأردني لأرضه متأت من اعتبار أن من يملك الأرض يملك المرأة ويملك الحياة من قرنيها، ومن لا يملكها لا يملك شيئا ويشقى تماما كما تتعذب المرأة العقيم وتشقى، وقد بين الكاتب أن الأرض هي العرض وتاج عز وفخار.

وتركز الرواية على جملة من الأحداث وسياقات القرية الأردنية من حيث العادات والقيم والطقوس والممارسات والشعائر، مع العديد من الإسقاطات لأحداث مهمة مر بها الأردن، مثل حادثة استشهاد الملك عبدالله الأول ونكسة حزيران عام 1967 وتداعياتها، من حيث النزوح والهجرة من داخل الأردن وخارجه، وخاصة تشكيلها للفسيفساء الاجتماعية في مدينة الزرقاء.

كثيرة هي الأعمال الأدبية العربية التي تناولت مواضيع حياة الفلاحين البسطاء ودورهم في الحياة الاجتماعية، من ذلك رواية "الأرض" لعبدالرحمن الشرقاوي، و"المعذبون في الأرض" لطه حسين. وكثيرا ما كان نمط عيش الفلاحين محل متابعة من قبل الكثير من الأقلام التي صورت دقائق الأمور ووصفت وضعياتهم ومعاناتهم، حتى صار الفلاح رمزا لقسوة الحياة وآلامها. ولكن قليلة هي الروايات التي تناولت حياة البدو التي لا تقل قسوة، وخاصة من وجهة نظر امرأة على غرار رواية "فاطمة".

الرواية تركز على جملة من الأحداث وسياقات القرية الأردنية مع عدة إسقاطات لأحداث مهمة مر بها الأردن

ومع هذا العمل السردي يتأكد أكثر فأكثر أن الرواية العربية المعاصرة تحولت إلى وسيط حضاري ومعرفي، وتمثل اليوم ما مثّله الشعر العربي القديم (ديوان العرب) في العصر الجاهلي وما بعده، في الحضارة العربية الإسلامية. فحياة البدو التي كانت الأشعار سفيرها ولسانها وممثلها الأول صارت تتجسد في الروايات والأعمال الدرامية أيضا.

ويذكر أن الكاتب محمد عبدالكريم الزيود ولد في الهاشمية عام 1973، ويعمل مدرسا أكاديمياً في جامعة الزرقاء، وسبق أن أصدر مجموعتين قصصيتين إضافة إلى كتابة أعمال إذاعية وتلفزيونية أردنية.